مقاربات الدراسات الأدبية لزمن تيار الوعي

أ.قسمية مصطفى
جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)

الملخص:

توسعت الدراسات الأدبية توسعاً غير مسبوق في تناولها للزمن، وعلى نحو لا يمكننا معه – حتَّى- تعداد هذه الدراسات، والملفت للانتباه في بعض هذه الدراسات هو الخلط بين الزمن والوسائل الفنية المستعملة في التعبير عن هذا الزمن مثل، الاستباق والاسترجاع والمونتاج وما لا يمكن حصره من وسائل فنية، وانطلاقا من هذا حاولت بعض الدراسات بناء تصور نظري يمكّنها من تميز الأحداث التاريخية من غيرها، ولكنَّهم وجدوا مقتضيات السرد تتطلب –أحياناً- أن يقع التبادل بين المواقع الزمنية، فالحاضر قد يحل مكان الماضي، والمستقبل قد يأتي قبل الماضي، والماضي قد يحل محل المستقبل على سبيل التحقيق أو التعتيم السردي، وذهب البعض إلى أنَّ أزمنة الحكي تتمثل في زمن المغامرة أو زمن الكتابة أو زمن الحكاية أو زمن القراءة أو زمن التلقي، وهو زمن ذو صفة تعددية، بينما الأزمنة الأخرى ذات صفة أحادية، لأنَّ عملية التحصيل من الصعب أن يشترك فيها اثنان حول موضوع واحد.

Abstract:

Expanded literary studies an unprecedented expansion in dealt with the times, and we can not with him -- The enumeration of these studies, the absense of attention in some of these studies is the confusion between the time and technical means used in the expression of this time such as, proactive and retrieval and montage and cannot be limited to the technical means proceeding from this tried to some studies building my perception can discriminate historical events, but found the requirements of the narrative require - sometimes - that the exchange is located between sites of time, the present we create may replace last year, and the future may come before the last, and the past may replace the future for the investigation or the narrative dimming some went to the times of

the diction of the time adventure or the time of writing or time story or time reading or the time of receipt, The time of a pluralistic, while other times of a unilateral character, because the process of collection from difficult to involving two on one subject

توطئة :

لم نجد في أزمنة الرواية أي جذر من جذور زمن تيار الوعي، إذا ما استثنينا تبادل المواقع الذي ينطبق على تيار الوعي وغيره [1]، وضيق الحاضر ومده، وقد اصطلح بعض النقَّاد على هذا البناء للأحداث، بالبناء المتداخل؛ لأنَّ التَّداخل من أبرز سمات تيار الوعي. [2] ولكن ما يجلب الانتباه هو التحليل لزمن التلقّي، إذ إنَّ هذا التحليل يكاد يقارب أو يلامس زمن التداعي الحر الباطني في تيار الوعي، فقد يشير إلى سلسلة المراحل الزمنية التي لا تزيد على اللحظات، إلى جانب تميزه بالطول والراحة والتجدد بتجرد الأحوال والأشخاص، وهذا يقارب من زمن التداعي في ذهن الشخصية، حيث تتدفق عشرات الصور والأفكار بلحظات وعلى هامش انتباه الشخصية. ولكن التحليل إذا قَصد المتلقي ولم يقصد الشخصية الروائية، فإنه يبتعد -في المعنى والاتجاه والوسيلة الفنية- عن زمن تيار الوعي .

1- إرهاصات :

ولعلَّنا لا نبالغ إن قلنا إنَّ البذور الفنية الأولى لزمن تيار الوعي، قد برزت مع محاولات النقَّاد وكتَّاب الرواية في مد الزمن الحاضر المرتبط بالانتباه وتثبيته .نظراً لأهمية "الحاضر بالنسبة إلى الروائي، وأدّى البحث عن تجسيده إلى تطور واضح في طريقة معالجة الزمن في الرواية، وإلى محاولات ابتكار أساليب وتقنيات .جديدة للتعبير عنه، وتثبيت هذا الحاضر ومدّه " [3] .

ومن هنا بدأ كتّاب تيار الوعي بالإفادة من تثبيت الحاضر بواسطة التداعي الحر الباطني، ومده من خلال توسيع الفرق بين زمن الحكاية وزمن القول، "فبينما يسير زمن القول في خط طولي في معظم الأحيان. نجد أن زمن الحكاية متعدد الأبعاد، إذ يمكن في الحكاية أن تجري حوادث مختلفة في الوقت نفسه، لكن القول القصصي ينبغي أن يضعها واحدة إثر الأخرى، بالضرورة، وبهذه الطريقة يعرض شكلاً معقداً في خط مستقيم"[4] والشكل المعقد في رواية تيار الوعي يتكون من حكايتين متداخلتين -في الخط المستقيم- ولكن لكل واحدة منهما أبعاداً متعددة، وأزمنة مختلفة،

ومنفصلة عن بعضها، وإن التقت في بعض الجوانب القليلة؛ إذ تشكل مجريات الحكاية الأولى -القصة الخارجية- محفزات تستثير حصول مجريات الحكاية الثانية -القصة الداخلية- وبهذا يكون الالتقاء بينهما في المحفز وزمن التحفيز، الذي هو الزمن الحاضر بالنسبة للحكاية الثانية، وهكذا قام كتّاب تيار الوعي بالإفادة من اتساع الفرق بين زمن القول وزمن الحكاية في مد الحاضر، الذي هو زمن التداعي الحر الباطني في تيار الوعي .

ولقد مدَّ كُتَّاب تيار الوعي الحاضر، من خلال الإفادة من دور الذاكرة، في جعل الماضي امتداداً في الحاضر، فالذاكرة "هي جوهر وجودنا، إنَّها هي التي تضمن امتداد الماضي والحاضر فيتعايشان معاً. إنَّ ماضينا البعيد يتداخل مع حاضرنا .فيكونان معاً زمناً واحداً غير منقطع"[(5)]، وهذا ما ينسجم تماماً -في بعض الأحيان مع تيار الوعي الذي يتداعى بالماضي- زمن محتويات التداعي -في لحظة الحاضر- زمن التداعي ذاته -فيتعايشان معاً- في باطن الشخصية ويتداخلان فيكونان زمناً واحداً غير منقطع[(6)]، فزمن تيار الوعي هو زمن نفسي مستدير متقطع يتعامل مع الحاضر والماضي والمستقبل في آن واحد، محطم للزمن التاريخي.

2- مقاربة الشكلانيين الروس :

ولقد قارب الشكلانيون الروس من زمن تيار الوعي -ضمنياً- عندما قاموا بتقسيم الخطاب السردي من حيث الزمن إلى: زمن القصة أو المتن الحكائي، وزمن الحكاية أو المبنى الحكائي، وقصدوا بالمتن الحكائي الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل، وقصدوا بالمبنى الحكائي، مجموعة الأحداث ذاتها، ولكن يراعى نظام ظهورها في العمل، كما يراعى ما يتبعها من معلومات تُعنيها لنا، وأشاروا إلى عدم وجود علاقة جدلية بينهما)[(7)]

ففي المتن تقع الأحداث في زمانها المنطقي الذي وقعت فيه حقيقة أو متخيلة، وهي التي تشكل المادة الخام للمبدع، وغالباً ما يخلو المتن من الوصف، والراوي والتحليل، بينما المبنى يشكل إعادة ترتيب الأحداث من خلال راوٍ سردي لها، ويدخل الوصف عنصراً من عناصر المبنى[(8)] مما دفعهم إلى التأكيد على أن قيمة العمل السردي تكمن في طبيعة العلاقات التي تربط بين

الأحداث تُواجد أجزاءها، فميزوا بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي من خلال إظهار "المتن الحكائي كمجموعة من الحوافز المتتابعة زمنياً، وحسب السبب والنتيجة، كما يتجلى المبنى الحكائي كمجموعة هذه الحوافز ذاتها، لكن مرتبة حسب التتابع الذي تلتزمه في العمل"[9]

فنوعية العلاقة بين المتن والمبنى تمكن الروائي من تقديم أشكال متعددة للزمن تظهر من خلال المبنى الحكائي، وهم يعرضون الأحداث بطريقتين: خضوع السرد لمبدأ السببية، أو تخلي السرد عن الاعتبارات الزمنية، حيث تتابع الأحداث دون منطق داخلي.[10]

ليس هذا فقط فالمتن لا راوي له، ولا يتضمن الوصف، بينما المبنى يقوم بإعادة صياغة المتن على وفق ما يريده الكاتب، مدخلاً عناصر جديدة كالوصف والراوي ويتوفّر المبنى على مفارقات زمنية تسمى الاستباق والاسترجاع وغيرها .وللوهلة الأولى يبدو لنا أنهم في كل ما سبق يتحدثون عن زمن تيار الوعي فعلاً، ولكننا عندما أمعنا النظر، وجدنا أنهم قد تعرضوا لبعض من جوانب الزمن في تيار الوعي –وربما تكون هذه الجوانب عامة في أغلب الأعمال الروائية- وغفلوا عن جوانب أخرى، وهي من أهم مكونات زمن رواية تيار الوعي. وربما يعود ذلك إلى تعقّد بناء رواية التيار .

والحقيقة أن التداخل والمفارقات الزمنية هي التي تقربه من زمن تيار الوعي ولكن لا يكفي لجعل الخطاب من اتجاه تيار الوعي[11]، إن سعيد يقطين يسمي انحراف زمن المبنى عن زمن المتن بـ(التخطيب) وغيابه يعني أن ثمة تطابقاً بين المتن والمبنى وهذا أمر افتراضي [12].

لقد قسموا زمن العمل الروائي إلى : هيكل خارجي –المبنى- وهيكل داخلي –المتن- وليعلم أن متناً واحداً يمكن أن يقدم بناءات مختلفة وأبنية تعتمد على تصور الكاتب، ولكن يبقى المتن هو الخامة الداخلية والمبنى هو الشكل العام المقروء أو المسموع، استناداً إلى وجود حكاية واحدة في العمل الروائي، في حين أنَّ رواية التيار تتألف من حكايتين، تُشكل كل واحدة منهما كياناً مستقلاً منفصلاً قائماً بذاته، له متن حكائي ومبنى حكائي منفصل عن متن ومبنى الحكاية الأخرى، تربط بينهما علاقات باطنية يصعب الكشف عنها إلاَّ من خلال الزمن والحدث والفضاء الروائي، وهذا هو أحد أسباب تمزق وتشتت رواية التيار. فإذا ما أغفلنا علاقات الترابط الباطنية بينهما –وهي

علاقات سببية نفسية- عندئذٍ يمكننا أن نفصل الحكايتين عن بعضهما، لتشكل كل منهما قصة منفصلة، ينطبق عليها ما جاء به الشكلانيون الروس تقريباً، مع بقاء بعض جوانب الزمن فيها دون تناول، ولاسيما الحكاية الثانية –القصة الداخلية- إذ لا يخفى على الدارس التعقيدات الناجمة عن بناء عمل يتكون من حكايتين، وعمل يتكون من حكاية واحدة، إذ لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نطبق ما جاء به الشكلانيون على رواية التيار وكأنَّها تتألف من حكاية واحدة، فبينما يرى الشكلانيون الروس أن أحداث المبنى هي نفسها أحداث المتن، فإنَّ أحداث الحكايتين في رواية التيار تختلفان نهائياً، وقد لا يجمع بينهما جامع، وهذا الاختلاف بدوره ولد اختلافاً آخر في تشكيل زمن الأحداث، فالشكلانيون الروس يرون أن أحداث المتن يمكن إعادة ترتيبها زمنياً على الخط الطولي للزمن –ماضي، حاضر، مستقبل- بعد أن كانت في المبنى متداخلة باستعمال وسائل الزمن الفنية، مثل :الاستباق، الاسترجاع، التسريع، الإبطاء، الفواصل الزمنية، وغيرها، وحسب التتابع الذي يلزم العمل –التتابع المنطقي- لا التتابع الزمني.

ومن هنا قالوا إنَّ العلاقة بين المتن والمبنى علاقة سببية تكاملية تبادلية لا عضوية جدلية، لكي يتمكنوا من الفصل بين المبنى والمتن، وهذا ينطبق -تقريباً -على حكايتي التيار، كل واحدة منهما على حده. ولكنَّه لا ينطبق على رواية التيار كعمل متكامل، لأنَّ العلاقة التي تربط بين الحكايتين ليست سببية تكاملية، ولكنَّها سببية نفسية من طرف الحكاية الأولى إلى الثانية، بينما هي من طرف الحكاية الثانية إلى الأولى معدومة ولا وجود لها، لأنَّها لا تجري على أرض واقع الحكاية الثانية، وإنَّما تدور في مخيلة الشخصية ولا تنتقل إلى مجرى أحداث الحكاية الأولى، ومن هنا فالعلاقة بينهما سببية نفسية عضوية غير تبادلية تكاملية، ونؤكد هنا على ما نقصده بالعضوية، وهو ارتباط التداعي في الحكاية الثانية بحصول حدث أو فضاء في الحكاية الأولى، أي لولا حصول هذا الحدث أو ذلك الفضاء الروائي أو ما شابه ذلك لما حدث التداعي. والعضوية هنا ليست تبادلية أو تكاملية، أي أن حصول التداعي لن يكون سبباً في حصول الحدث أو عدم حصوله في الحكاية الأولى، ومن هنا فالعضوية منقوصة بسبب عدم التبادلية من ناحية، وعدم التكاملية من ناحية

أخرى. ونقصد بعدم التكاملية هنا: أن التداعي في الحكاية الثانية لا يكون جزءاً مكملاً للحدث أو الفضاء الروائي في الحكاية الأولى .

وحصول الحدث أو الفضاء الروائي -أو أي من المجريات- في الحكاية الأولى يمثل سبباً في حصول التداعي الذهني الحر، ولكنَّه لا يكون جزءاً مكملاً لمجريات التداعي أو محتوياته في الحكاية الثانية. بينما العلاقة العضوية التبادلية تعني أن حصول أي من الأمرين مرهون بحصول الأمر الآخر، وهكذا في كل النص(13).

3- مقاربات أخرى :

قد يتساءل البعض: إذ لم يتم التداعي داخل الفضاء الروائي، فأين يتم إذن؟ نقول: إنَّ الفضاء الروائي قد يأتي مستقلاً بذاته، وهنا يصعب حصول التداعي الذهني بداخله، وقد يكون سبباً في حصول التداعي، وعلى هامشه. أو يأتي داخل الفواصل الزمنية للحكاية الأولى، وهذه الفواصل مهما قصرت أو اتَّسعت أو كثرت لا تكفي لبناء قصة متكاملة قائمة على أسلوب تيار الوعي، لأنَّ زمن قصة التيار – الحكاية الثانية- أطول من زمن الحكاية الأولى، سواء أكان ذلك في زمن القول أم زمن القصة أو حتَّى زمن السرد أو أي زمن آخر .ولعلَّ وقوع التداعي الذهني الحر، في الفواصل الزمنية، أو الفضاءات الروائية والقصصية، دفع بالكثير من الدارسين إلى القول: إنَّ الكاتب قد استخدم أسلوب تيار الوعي في بناء روايته أو قصته القصيرة، وهو لم يستعمل ذلك نهائياً، وكل ما في الأمر هو ملء بعض الفواصل في صورة من صور التداعي كوسيلة فنية لملء الفاصل ليس إلاَّ. فالعلاقات التي تترابط من خلالها مكونات رواية التيار هي علاقات سببية .نفسية عضوية في الباطن، وسببية نفسية موضوعية في الظاهر(14).

وعلى ضوء ذلك لا يمكننا أن نعيد ترتيب أحداث رواية تيار الوعي على خط طولي واحد – ماضي، حاضر، مستقبل- لأنَّ كل حكاية من حكايتي تيار الوعي لها خط طولي –متن- منفصل عن الخط الطولي للحكاية الأخرى، وزمن أحداث كل منهم مختلف عن زمن أحداث الأخرى، فزمن حصول أحداث الحكاية الأولى وبيئته يشكلان سبباً لازماً لحصول زمن تداعي أحداث

الحكاية الثانية ذهنياً، لا سبباً لزمن حدوثها، وإنَّما سبب لزمن استرجاعها، ولا يخفى على الدارس الفرق بين زمن حدوث الحدث وزمن استرجاعه، وعلينا هنا أن نشير إلى أنَّ الزمن في الحكاية الأولى -القصة الخارجية- هو زمن حقيقي، والزمن في الحكاية الثانية ربَّما يكون وهمياً وربما يكون حقيقياً، ولكن من المؤكد أن السبب الزمني الذي يربط بينهما هو زمن نفسي وهمي لا وجود له في بنية العمل الروائي إلاَّ من خلال كونه زمن الرجع الذي سنتحدث عنه لاحقاً. وبما أنَّ الشكلانيين الروس قد نقصهم الحديث عن هذا الزمن في نظرية المنهج الشكلي، قلنا إنَّ زمن تيار الوعي قد فلت من بين أيديهم؛ لأنَّهم بنوا ذلك على العمل ذي القصة الواحدة .

ولقد اقترب البنيويون أكثر فأكثر من زمن تيار الوعي، عندما قسم (رولان بارت) الوحدات البنائية في العمل السردي إلى فئتين، هما :

الأولى: وحدات سردية أصلية، وهي النواة، أو الوظائف المركزية التي تتوَّزع تتابعاً على المحور النظمي، مكونة وظيفة أساسية في العمل السردي، وهي فتح أو إغلاق أو تثبيت مبادرة منطقية لتتابع التاريخ، وباختصار تفتح أو تنهي تردداً إذا ورد في النص قطعة تالية [(15)] .

ولولا إصرار (رولان بارت) على وظيفة فتح أو إغلاق مبادرة منطقية لتتابع التاريخ، لقلنا إنَّه يتحدث فعلاً عن زمن تيار الوعي في الحكاية الأولى؛ لأنَّ الوحدات السردية في الحكاية الأولى -القصة الخارجية- أصلية ومهمتها فتح أو إغلاق الوحدات السردية للحكاية الثانية -القصة الداخلية- في رواية تيار الوعي، أي أنَّ وظيفة وحدات السرد الأصلية هي خلق المؤثرات أو الحوافز لتتابع أو إغلاق وحدات السرد في القصة الداخلية لرواية التيار .

ولو قال (رولان بارت): "مبادرة منطقية لتتابع السرد"، وتوقف عند ذلك، لأصاب زمن الرجع في تيار الوعي[(16)]، ولكنَّه بنى ذلك على العمل ذي القصة الواحدة، مما ولَّد اختلافاً آخر -بينهما- حول تصور وظيفة وحدات الفئة الثانية، وقد قسم بارت الوظائف إلى قسمين: توزيعية تتعلق بالأحداث (المتن)، وقرائنية تتعلق بالوصف أو أسلوب الكتّابة (المبنى).

أما وحدات الفئة الثانية : "فهي وظائف ثانوية تكميلية، عبارة عن حوافز .ومؤشرات وعوامل إخبارية غير مرتبطة بتطور أحداث القصة) "[(17)]. ولو توقف (رولان بارت) هنا، لقلنا إنَّه يتحدث

عن زمن تيار الوعي، إذ إنَّ القصة الثانية في رواية التيار هي وظائف ثانوية بالنسبة لمسار القصة الخارجية، وهي ليست تكميلية لها، وإن كانت تكميلية لوحدات سرد الفئة الأولى، وإنَّما يمكن اعتبارها -وبصورة غير دقيقة- تكميلية في رواية تيار الوعي كصورة كلية للعمل الروائي [18] . ويلتقي مع رواية التيار في كونها حوافز ومؤشرات وعوامل إخبارية، ولكن ليست لوحدات السرد الأولى فحسب، وإنَّما داخل وحدات السرد الثانية نفسها أيضاً، إذا ما اعتبرنا أن وحدات السرد الثانية هي القصة الداخلية في رواية التيار، ومن هنا هي غير مرتبطة بأحداث القصة الخارجية في رواية التيار، كما أنَّها غير مرتبطة بوحدات سرد الفئة الأولى عند بارت .ويتابع رولان بارت: "فهي عبارة عن توسعات، تتأطر مكانتها من خلال مدى تفاعلها مع النواة، فالحيز الذي يفصل بين رنين الهاتف وبين رفع السماعة يمكن إشباعه بجملة من الأحداث الدقيقة أو بفيض من الوصف الدقيق، غير أن وظيفتها مخففة، تتعلق بفعالية زمنية بحتة، تسهم في فصل اللحظتين للقصة، في حين تشتغل في الوصل بين وحدتين أصليتين بسد حيّز سردي بينهما بفاعلية مزدوجة زمنياً ومنطقياً"[19]. وهنا لا يمكننا أن نعد مجريات القصة الداخلية في رواية التيار عبارة عن توسعات لوحدات سرد الفئة الأولى التي تقابل القصة الخارجية، والسبب أنَّه جعلها تحتل مساحة زمنية على الخط الطولي لوحدات سرد الفئة الأولى، بينما القصَّة الداخلية لرواية التيار لا تحتل أي جزء زمني من الخط الطولي لمجريات القصة الخارجية، ومن هنا أطلق عليه مسميات كثيرة مثل الزمن النفسي أو الوهمي أو التخيلي ويمكننا تسميته هنا الزمن الصفري، وهو لحظة تأثير المحفز [20] -يكون من وحدات السرد الأصلية التي تقابل القصة الخارجية -في ذهن الشخصية. وهنا يمكننا أن نعتبر أن هذه اللحظة تتأطر مكانتها من خلال مدى تفاعلها مع النواة -القصة الخارجية -ولعل ذلك من أهم نقاط الالتقاء بين (رولان بارت) وزمن تيار الوعي، ولكن هذا الالتقاء أضاعه (رولان بارت) عندما جعل له مساحة زمنية على الخط الزمني لوحدات سرد الفئة الأولى، ومثّل على هذه المساحة، بالحيز الذي يفصل بين رنين الهاتف وبين رفع السماعة.

فالرنين في رواية التيار قد يثير تداعياً ذهنياً يستمر من لحظة الرنين إلى وقت انتهاء المحادثة أو ما قبلها أو بعدها، وربما بما ليس له صلة بما سبق الرنين أو ما تبعه، ولكن قد يكون له صلة بما سبقه

أو تبعه من تداعيات مماثلة، تشكل في مجملها مجريات القصة الداخلية، وتتصل هذه التداعيات مع بعضها برابط ظاهري أو باطني. أي أنَّ الوحدة التي تنتظم بها هذه التداعيات قد تكون موضوعية أو منطقية أو نفسية .

وقد يملأ الراوي هذا الحيز بفيض من الوصف الدقيق دون أن يؤثر على تداعي ذهن الشخصية إذا ما رغبت بالتداعي أو رغب الراوي بذلك حسب متطلبات العمل الروائي، ومن هنا يمكننا القول إنَّ الفواصل الزمنية في الأعمال الروائية ليست هي الزمن الوحيد الذي يتم به التداعي في رواية التيار، وإنَّما التداعي قد يتم في أي زمن من أزمنة مجريات القصة الخارجية، وتبعاً للمحفزات والمؤثرات في عملية التداعي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن مجريات القصة الخارجية ما هي إلاَّ مجموعة من المحفزات التي تستثير ذهن الشخصية بالتداعي في مجريات القصة الداخلية، ولذا يختار الكاتب من المحفزات ما يضمن له تماسك كلٍّ من مجريات القصتين ويوفر لكل واحدة منهما الاستقلالية عن الأخرى، وبما يجعل المحور النظمي للقصة الخارجية ضمناً وهمياً لمحور نظمي آخر للقصة الداخلية على أن يمكننا من التمييز بين المحورين، وبما لا يقبل أي لبس أو تداخل بينهما، وإلاَّ لأصبحنا أمام جريان سائب للذهن لا يربط بين تداعيات هذا الجريان أي رابط، مما يجعلنا أمام تداعيات لا معنى لها سوى الهلوسة أو الذهان أو الجنون، مما يفقد العمل الروائي هدفه، ألا وهو التأثير في القارئ أو المتلقي .

وجاءت نقطة الافتراق الأخرى بين (رولان بارت) وزمن تيار الوعي، عندما جعل ملء الفواصل الزمنية بأحداث ذات وظيفة مخففة، وأنَّ هذه الوظيفة، هي وظيفة زمنية بحتة، مهمتها الفصل بين وحدتين أصليتين. وكأنَّ وحدات السرد الثانوية لا تمثل إلاَّ ملء الفراغات الزمنية الناتجة عن الانتقال من وحدة سردية أصلية إلى وحدة سردية أصلية أخرى.

والفاعلية الزمنية هي عدم حصول فراغ زمني بين الوحدتين، أمَّا الفاعلية المنطقية فلها عشرات الصور، من أهمها: تهيئة ذهنية القارئ لما سيأتي من وحدة سرد أصلية وربطها مع وحدات السرد السابقة .قد ينطبق ما سبق على وحدات السرد الأصلية في القصة الخارجية لرواية التيار، ولكنَّها قد تنطبق أو لا تنطبق على وحدات السرد الأصلية في القصة الداخلية، والسبب أن جميع وحدات

السرد الأصلية فيها تتداعى ذهنياً، فهي ليست بحاجة إلى فواصل زمنية لوحدات السرد الأصلية في القصة الداخلية، ومن هنا تختلف وظيفتها من كونها ملء حيز بين وحدتين سرديتين في القصة الداخلية إلى وظيفة التحفيز -المثير- لتتابع الوحدات السردية الأصلية في القصة الداخلية.

التركيبة الزمنية لرواية تيار الوعي:

إنَّ رواية تيار الوعي تقوم على قصتين، الأولى خارجية يتّبع في بنائها الزمن التاريخي، وأخرى داخلية يتّبع في بنائها الزمن النفسي، وسنتناول تركيبة الزمن النفسي، ونتجاوز الزمن التاريخي للقصة الخارجية، إلاَّ بقدر ما يرتبط هذا الزمن بالزمن النفسي؛ لأنَّ معظم الدراسات قد أشبعته بحثاً، بينما الزمن النفسي -حسب اعتقادنا- لم يتناوله الباحثون إلاَّ من خلال ارتباطه بالذات، فطغى الحديث عن الذات على التركيبة الفنية لهذا الزمن، وسنحاول تحديد تركيبته بعيداً عن المسميات الفنية للزمن[21] حتى يمكننا إيضاحه بصورة جلية.

أولاً: الزمن في القصة الخارجية :

يتبع في بنائها الزمن التاريخي، بغض النظر عن التسلسل الزمني، ويمكن أن تدرس على ضوء ما جاء به الشكلانيون الروس من تقسيم للعمل الفني إلى متن ومبنى، أو على ضوء ما ورد عند البنيويين من تقسيم للعمل الروائي إلى وحدات أصلية وأخرى ثانوية، وما يهمنا في دراستنا هو المحور النظمي للزمن لأنَّه يمثل القالب للقصة الداخلية .

وهذا المحور استعمل الروائيون في بنائه التسلسل الزمني -ماض، حاضر، مستقبل- أو التسلسل المنطقي الذي يقوم على مختلف التقنيات الفنية لأقسام الزمن، مثل: الاسترجاع، الاستباق، الارتداد، الاستشراف، الفواصل الزمنية، الفضاءات الزمنية، ومزامنة الأحداث، وكيفية ترتيب المزامنة، واللوازم الزمنية، بالإضافة إلى تقنيات الإبطاء والتسريع والحذف والإخفاء، وحتى التضمين والاستعارة، بالإضافة إلى عمليات المونتاج الزماني والمكاني المستخدمة لتحقيق هذه التقنيات، وباختصار هي قصة قائمة بذاتها. وكل ما يستخدم فيها من تقنيات فنية ينعكس بكل

تأكيد على القصة الداخلية؛ لأنَّ القصة الداخلية لا قالب لها فتستعير قالب القصة الخارجية، إذن لدينا محور نظمي قائم بذاته له زمن مستقل عن زمن القصة الداخلية.

ثانياً: الزمن في القصة الداخلية :

تكتسب القصة الداخلية المحور النظمي للقصة الخارجية من حيث المبنى الهيكلي دون أن تكتسب زمنه، فمن الممكن أن تدور مجريات القصة الخارجية –كما ورد في بعض القصص العالمية المجسدة لهذا التوجه الزمني كقصة (مسز دالوى) لـ(فرجينيا وولف) - في يوم واحد، بينما مجريات القصة الداخلية قد وقعت في ثمانية عشر عاماً. فمجريات ثمانية عشر عاماً لم تؤثر نهائياً في مجريات اليوم الواحد، أي أنَّ الثمانية عشر عاماً لم تقع أي لحظة منها على المحور النظمي لليوم الواحد، بينما كان تأثير اليوم الواحد في مجريات الثمانية عشر عاماً على النحو الآتي:

أ. توفير الهيكل التنظيمي للثمانية عشر عاماً .

ب. توفير المحفزات أو المؤثرات القادرة على استثارة ذهن الشخصيات .

ج. استيعاب تداعيات الذهن كما هي .

د. تعويض النقص الحاصل في بناء وحدة فعل الشخصية أو الحبكة الفنية في القصة الداخلية .

ه. خلق الصورة الكلية للعمل الروائي .ويمكننا القول إنَّ تعويض النقص الحاصل في وحدة فعل الشخصية قد تم من خلال، ارتباط بعض عمليات التداعي الذهني بالمحفّز أو المحفزات الخارجية .

أضف إلى ذلك الترابط الناتج عن انعكاس الهيكل التنظيمي الخارجي على تداعيات الذهن فشكَّلت هيكلاً تنظيمياً مماثلاً له. ومخالفاً له في الزمن ومدته. إذن نحن أمام أزمنة متداخلة ومتشابكة ومترابطة بصورة جزئية لا كلية سنوضحها لاحقاً. وهذه الأزمنة هي:

أ. الزمن التاريخي بكل معطياته الفنية في القصة الخارجية .

ب. الزمن النفسي: سمي بهذا الاسم لأنَّه غير محسوس أو ملموس، إذ لا يحس به أو يشعر به إلاَّ صاحبه، فهو مجرد لا مادي. وأغلب الدراسات التي تناولته لم تقدم له تعريفاً أو تفسيراً، يمكّننا من

تحليله إلى مكوناته الأساسية، ومن هنا سنقوم بتقديم تعريف له، ثم تحليله لعناصره الأساسية، وبقدر ما يتعلق الأمر برواية التيار.

تعريفه: "هو زمن داخلي ذاتي تُستغرق فيه عمليات ذهنية غير منظمة أو مدروسة، تتداعى بصور شتَّى، ومن أزمنة مختلفة، بفعل محفز خارجي ثم داخلي، يستثير الذهن في لحظة ما، فيأتي متقطعاً ومتجدداً تبعاً لانقطاع وتجدد المحفزات، فيشكل تياراً فكرياً ممزقاً ومشتتاً في الذهن"(22)

وهنا علينا أن نؤكد ملاحظتين مهمّتين تتعلقان بتيار الوعي :

الأولى: أنَّ الأزمنة المختلفة الواردة في التعريف هي أزمنة الماضي والحاضر والمستقبل تلتقي في آن واحد بزمن التداعي الذي هو الزمن الحاضر بالنسبة للعمليات الذهنية، فتمّده وتثبته داخل الذهن، ومن ثم يظهر على المحور النظمي الداخلي للقصة الداخلية، فيصبح زمن محتويات التداعي كله حاضراً؛ لأنَّ زمن التداعي –لحظة التداعي- لا يمكن أن يكون إلاَّ حاضراً في الذهن.

الثانية : إنَّ هذا الزمن لا وجود ظاهري له، ولا بد أن يكتسب وجوده الداخلي من خلال محفز خارجي له –ثم تُستدعى محفزات داخلية أخرى- وهذا المحفز لا بد أن يقع في مجرى من مجريات القصة الخارجية، ومن هنا فزمن التداعي بالعمليات الذهنية يقع على هامش زمن ذلك المجرى.

مكونات الزمن النفسي في روايات التيار :

أولاً: زمن التداعي :

هو زمن ذاتي داخلي، تُستغرق فيه عمليات ذهنية ناتجة عن استثارة الذهن بمحفز خارجي يقع في مجرى من مجريات القصة الخارجية، و يتموضع –زمن التداعي- على هامش زمن ذلك المجرى، ويبقى قائماً –مستمراً- إلى حين دخول منبه أو مؤثر قادر على إعادة انتباه الشخصية إلى مجريات القصة الخارجية . فيتوقف التداعي إلى حين دخول محفز آخر جديد يثير التداعي مرة أخرى، فيتجدد زمن التداعي، وتبقى هذه العملية بصورة متبادلة، حتَّى نهاية العمل الروائي، إذن هو زمن نفسي متقطع ومتجدد. وقد يطول هذا الزمن أو يقصر تبعاً للمحفزات الذهنية الداخلية من ناحية، وحصول محفز خارجي قادر على إعادة الشخصية إلى مجريات القصة الخارجية، من ناحية أخرى،

وهنا علينا أن نلاحظ إمكانية حصول صراع بين المحفزات الداخلية والمحفزات الخارجية، وتكون الغلبة هنا للمؤثر الأقوى. ويلعب الكاتب أو الراوي دوراً مهماً في هذه العملية، من ناحية ثالثة. ويمكن أن نشبه هذه العملية بإغفاءات المسافر في طريق متعرج، تتحكم الطريق ومصاعبها إلى جانب السائق بكم هذه الإغفاءات ومدتها، دون المساس بجوهر ما يقع منها أو يحصل فيها من أحلام .

وعلينا أن نؤكد أن زمن التداعي لا يؤدي إلى أي توقف في زمن القصة الخارجية؛ لأنَّ التداعي يقع على هامش مجرياتها. ولا يمكننا أيضاً أن نطبق عليهما مسمى مزامنة لأنَّ المزامنة تعني حصول أكثر من حدث في زمن واحد، بينما زمن التداعي يقع على هامش زمن القصة الخارجية .

ولكن يمكن مقاربته بالصفر الزمني عند (جيرار جنيت) مع ملاحظة شديدة الأهمية، وهي اختلاف مفهوم الزمن الصفري من باحث إلى آخر، فالزمن الصفري عند (جينيت) يعني بداية القصة بغض النظر عن موقعها في السرد القصصي، فمن لحظة زمن الصفر "تبدأ العلاقة تتأسس بين زمن القصة وزمن الخطاب "[23]، مع ملاحظة أن القصة عند (جينيت) تعني المتن عند الشكلانيين .

والفارق هنا هو أن الزمن الصفري عند (جينيت) يعني بداية انطلاق الأحداث بغض النظر عن موقعها في الزمن المنطقي، مما يعني تلاشي الزمن الصفري بعد لحظات من وقوع الحدث الأول في القصة، ويطلق عليه (جينيت) المنطلق السَّردي أو نقطة البث المركزية المحورية، ولكنه يجعل الحوادث الجديدة نقاط بث مركزية فرعية[24]. ولولا تلاشي الصفر الزمني عند (جينيت) لقلنا أنه أصاب زمن تيار الوعي.

وهذا الاعتبار بني على أساس أن العمل الروائي يتكون من قصة واحدة تنقسم إلى مبنى ومتن، أو من وحدات أصلية وأخرى ثانوية، بينما زمن التداعي الذهني الحر هو فعلاً زمن صفري ولكنَّه غير قابل للتلاشي عن المحور النظمي للقصة الخارجية، أي أنَّه زمن ثابت في صفريته على المحور النظمي للقصة الخارجية؛ لأنَّه لا يعني بداية أحداث القصة الخارجية أو حدث من أحداثها من

ناحية، ولأنَّه متقطع ومتجدد في القصة الداخلية من ناحية أخرى. ولكن يمكننا أن نعتبر أن هناك صفراً زمنياً للقصة الخارجية وآخر للقصة الداخلية، وصفراً زمنياً ثالثاً غير قابل للتلاشي عن المحور النظمي للقصة الخارجية، ولكنَّه يختفي ثم يعود، أي أنَّه منقطع ومتجدد وثابت في صفريته، يؤسس للعلاقة بين زمن التداعي -زمن القصة الداخلية- وزمن القصة الخارجية، وتكون العلاقة الزمنية بينهما محصورة في زمن رجع المحفز الخارجي فقط الذي لا يتجاوز الثانية أو ما يقاربها. أي أن زمن الرجع يشكل نقطة التقاء وافتراق بينهما في الوقت ذاته، ومن هنا فهو يحافظ على صفريته في المحور النظمي للقصة الخارجية.

ونشير هنا إلى رأي (جينيت) الذي يقارب زمن تيار الوعي: "وإذا كانت الحكاية الشفهية، أدبية أو غير أدبية، لها مدتها الخاصة التي يمكن قياسها، فإن الحكاية المكتوبة لا تكون لها مدة تحت هذا الشكل، ولذلك لا تجد استقبالها، وبالتالي وجودها الكامل إلا بفعل إنجازي سواء أكان قراءة أو شفهياً أو صامتاً تكون له مدته فعلاً، ولكنها مدة متغيرة بتغير التحققات، وذلك ما كنت أسميه الزمنية الكاذبة للحكاية المكتوبة."[25]، ويضيف: "إن زمن الحكاية المكتوبة زمن كاذب من حيث أنه يقوم اختيارياً عند القارئ، على فضاء من النص لا تستطيع إلا القراءة أن تحوله إلى مدة ".[26] أليس زمن تيار الوعي لا يتحول إلى مدة إلا أثناء القراءة؟ ولكن (جينيت) يتحدث عن قصة واحدة .

وأشار (فاينريش) إلى أزمنة السرد، ورأى أن هناك أزمنة ذات درجة صفرية وهي التي لا يفرق فيها بين زمن النص وزمن الحدث." [27]. ونؤكد هنا أن هذا، هو أقرب ما يكون من زمن رواية التيار، إذا ما اعتبرنا أن زمن النص هو زمن التداعي، وزمن الحدث هو الزمن الذي يستغرقه مجرى من مجريات القصة الخارجية، فكلا الأمرين يحدثان في زمن واحد.

وعلينا أن نشير هنا إلى ملاحظة غاية في الأهمية، وهي أن زمن الوعي -زمن النص- في بعض الأحيان يكون أقصر من زمن المجرى -زمن الحدث- فزمن التداعي يقع في نفس الوقت الذي يقع فيه مجرى من مجريات القصة الخارجية، فبينما يكتسب المجرى زمنه على المحور النظمي للقصة

الخارجية، يبقى التداعي خارجه، فيصبح زمنه زمناً صفرياً على المحور النظمي للقصة الخارجية، مع الاحتفاظ بزمن الرجع بينهما.

ومن هنا فإنَّنا سنطلق على زمن التداعي -زمن القصة الداخلية- الزمن الصفري بوصفه منطلقاً جديداً بقطع النظر عن العلة السردية المكونة له سواء أكانت بعد المنطلق السردي المحوري أو بعد منطلقات سردية فرعية.

وعلى هذا الأساس يمكن تعريف الزمن الصفري في رواية التيار على النحو الآتي: "هو زمن مجرى من مجريات القصة الخارجية تتصاحب معه، وبتأثير مكون من مكوناته، عمليات تداعي ذهنية حرة، ينقطع ويتجدد كلما تغير المجرى أو المؤثر"[28]

ثانياً: زمن محتويات التداعي :

وهو بالضرورة زمن داخلي ذاتي مفتوح لا تحده الحدود، فهو يشمل كامل التجربة الذاتية للشخصية، وما يمكن لخيالها أن يبدع من تصورات تغوص في أعمق أعماق الماضي، متصلاً بالحاضر وبأبعد تصور يمكن أن يكون في المستقبل، أي أنَّه يجمع الماضي والمستقبل في بوتقة الحاضر، فتنصهر جميعها في زمن التداعي، لتشكل في المحصلة النهائية حاضر زمن التداعي الذي لا ينقطع؛ لأنَّه هو الماضي والحاضر والمستقبل معاً. ولاسيما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار السؤال التالي: هل يدور الأمر حول زمن استرجاعي (قبلي) أم زمن توقعي (بعدي) فزمن الاسترجاع يستدرك معلومة، وزمن التوقع يقدم معلومة مسبقاً، وكلاهما يتم في الحاضر -زمن التداعي-[29]، ويبقى الأمر متعلقاً بمفاهيم وتصورات نسبية [30]، تتصل بين زمن التداعي وزمن المجرى القصصي في القصة الخارجية. وهذا الزمن هو ما يتشكل منه المحور النظمي الداخلي للقصة الداخلية، وهو يماثل تماماً في فنياته الزمن التاريخي المنطقي، ولا يختلف عنه في شيء يذكر، سوى انصهار أزمنته في بوتقة زمن التداعي -الزمن الصفري.-.

ثالثاً: زمن المحفز أو المؤثر :

وهو زمن ينقسم حسب موقع المحفز إلى قسمين :

أ. زمن المحفز الداخلي، وهو جزء من زمن التداعي، يتوسط -زمنياً- فكرة داخلية لفكرة داخلية أخرى، ووظيفته بالإضافة إلى تحفيز التداعي يعمل على استمرار التداعي لأطول فترة ممكنة. إذ يتصارع مع محفزات إعادة ذهن الشخصية إلى مجريات القصة الخارجية .

ب. زمن المحفز الخارجي، وهذا زمن يتوسط زمني التداعي وزمن مجرى من مجريات القصة الخارجية، وهو إمَّا أن يعمل على تهيئة ذهن الشخصية للتداعي، أو تهيئته للعودة إلى مجريات القصة الخارجية، ويمكن تحديد ذلك من خلال ما سبقه وما تبعه من بناء للعمل الروائي .

ولعلَّ من أهم المحفزات التي تلعب دوراً تنسيقياً بين زمن التداعي وزمن مجريات القصة الخارجية -دخولاً أو خروجاً ذهنياً- هي المثيرات البصرية والسمعية واللمسية والذوقية والشمية- وإن كانت الثلاثة الأولى أكثر استعمالاً في روايات تيار الوعي، والسبب في ذلك أنَّ كل خطوة من الخطى المتتابعة في بناء رواية التيار تبنى على سابقتها وتهيئ للاحقتها. فالتأخير البسيط -زمن الرجع -للتغذية الحسية يحدث تشتتاً وتمزقاً في العمليات الذهنية المصاحبة لهذه المثيرات .ومن هنا يقابل المثير برد فعل من الذهن، والزمن الذي ينقضي بين المثير ورد الفعل عليه، يسمى زمن الرجع.

فزمن الرجع هو الفاصل الزمني الذي ينقضي بين تقديم المثير ورد الفعل على هذا المثير(31) .وهذا الزمن تفيد منه رواية التيار -على الأغلب- تحت مسمى اللازمة الزمنية، وهي تمثل إشارات للقارئ حتى يتنبَّه لمادة متصلة بالموضوعات، وإلاَّ ضاع في اضطرابات مرحلة ما قبل الكلام(32) .

وهذه اللازمة قد تكون جزءاً من زمن التداعي أو جزءاً من زمن القصة الخارجية، ويمكن معرفة ذلك بسهولة من النَّص الذي وردت فيه. وتُعرَّف اللازمة بأنَّها "صورة متكررة، أو رمز، أو كلمة.أو عبارة تحمل ارتباطاً ثابتاً بفكرة معينة أو بموضوع معين "(33) فيتم من خلال هذه اللازمة استدعاء واقعة خارجية لأخرى داخلية، أو استدعاء واقعة داخلية لأخرى داخلية أيضاً، وقد تُستَثارالواقعة من خلال فكرة، لأن الاستدعاءات متنوعة، فقد يستدعي الحدث أو الموقف حدثاً أو موقفاً، كما

يستدعي شخصية أو مكاناً... الخ، في لحظة ما من السرد على نحو لا تنقطع فيه لحمة البنية السردية للقصة الخارجية، .وقد أفاض (جينيت) في الحديث عن الاسترجاع وأنواعه(34) .

وتكمن أهمية زمن الرجع في رواية التيار في مقدار المعالجة الذهنية التي تحدث في الفاصل الزمني بين المثير ورد الفعل عليه، فهذا الزمن يجب أن يتوافق مع الزمن الذي تستغرقه اللازمة في رواية التيار. ولاسيما إذا علمنا أن هذا الزمن لا يتجاوز في حالاته القصوى ثلاث ثوانٍ على أبعد تقدير.

فقد أشار العالم الهولندي (دوندرز) إلى ثلاثة نماذج من زمن الرجع :

الأول: زمن الرجع البسيط، وهو الزمن الذهني المستغرق للاستجابة للمثير المفرد .

الثاني: زمن الرجع التفريقي، وهو الزمني الذهني المستغرق للاستجابة المفردة بعد تميز مثير معين من بين عدد من المثيرات المختلفة .

الثالث: زمن الرجع الانتقالي، وهو الزمن الذهني المستغرق للاستجابة المختلفة للمثيرات المتعددة(35)

فالزمن الأوَّل أقصر من الثاني، والثاني أقصر من الثالث الذي لا يتجاوز ثلاث ثوانٍ، ومن هنا يتحدد حجم -زمن- اللازمة تبعاً لنموذج الرجع وزمنه.

الهوامش :

(1) - اصطلح النقاد وعلماء النفس على هذا التبادل مسميات: الاستباق، الاسترجاع، التذكر، الاستنطاق، التوهم، التوقع، التوحد، وغير ذلك من التسميات وحسب نوع التبادل ومقتضياته.

(2) - انظر: إبراهيم، عبد الله، البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دراسة لنظم السرد والبنـاء في الرواية العراقية المعاصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 171-168 ،1988، الشوابكة، ص123.

(3) - قاسم، سيزا، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـاهرة،1984، ص 40.

(4) - فضل، صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الآفـاق الجديدة، ط3، بيروت، 1985، ص282.

(5) - Henri Bergson, La Phensee et le- movement, ed puf, paris 1975, p. 171. .

(6) - انظر للاطلاع: نفسه، ص165.

(7) - انظر: الشكلانيون الروس، نظرية المنهج الشكلي، ت: إبراهيم الخطيب، الشركة العربية المغربية للناشرين، مؤسسة الأبحاث العربية، الدار البيضاء، بيروت، 1982، ص180.

(8) - وهناك تسميات متعددة لهذه الثنائية، منها: زمن المغامرة وزمن الكتابة، والمدلول والدال، ومحتوى التعبير وشكل التعبير، وزمن القصة وزمن الخطاب، والحكاية والسرد، -على ترتيب المتن ثم المبنى-، انظر :الشوابكة، ص65.

(9) - الشكلانيون الروس، ص181.

(10) - انظر: نفسه، ص180-182.

(11) - انظر: توماشفسكي، (نظرية الأغراض)، ضمن نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ت :إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، الربـاط-بيروت1982، ص، 180.

(12) - انظر: يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص169،

(13) - ولكي نوضح الصورة، نشير إلى أن السرحان الذهني أثناء ركوب القطار ولسبب من الأسباب المتوافرة في مقصورة الركاب لا يمكن أن يكون سبباً في ركوب القطار، بينما مؤثر من مؤثرات القطار قد يكون سبباً في السرحان الذهني، الذي يتشكل منه تيار الوعي، إذ إنَّ أسلوب تيار الوعي أعقد وأصعب من أن يستعمل بهذه الصورة.

(14) - نقصد بالموضوعية الظاهرية، ارتباط التداعي بالمحفز الخارجي، وعلاقة ما هو خارجي بما هو داخلي. أما العضوية الباطنية هو ارتباط ما هو داخلي بما هو داخلي، في الأولى يمكن الفصل بينهما وفي الثانية يصعب هذا الفصل، أي أنه يمكننا أن نفصل بين محتويات السرحان الذي حصل في القطار –المثال السابق- وبين كامل أحداث السفر بما فيها المحفز الخارجي المسبب للسرحان، ولكن لا يمكن الفصل بين التداعيات الذهنية التي احتوى عليها السرحان بما في ذلك الفصل بينها وبين محفزاتها الداخلية، وهذا ما نقصده أيضاً بالعلاقة العضوية.

(15) - انظر: بارت، رولان، النقد البنيوي للحكاية، ت: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص108.

(16) - انظر نفس المرجع السابق ، ص 90.

(17) - بارت، ص116، وهنا تم عكس الأهمية في رواية التيار، فالأهمية للقصة الداخلية.

(18) - وتجدر الإشارة هنا، إلى أنَّ الصورة الكلية لرواية تيار الوعي، هي ليست حاصل جمع مجريـات القصة الخارجية مع مجريات القصة الداخلية، وإنَّما هي حاصل ضرب –تفاعل- بينهما. ولو كانت حاصل جمع، لتمكنَّا من وضعها على خط طولي واحد للزمن- أي لأمكننا إعادة ترتيبها حسب التسلسل الزمني-، ولكننـا أمام خطين طوليين قد يتقاطعان –يلتقيان في نقطة ما ثم يفترقان –وقد يتوازيان فلا- يلتقيا أبداً إلاَّ

عند نقطة الشروع التي قد تشبه ما أسماه رولان بارت، وجيرارجنيت، بالزمن الصفري أو درجة الصفر، وهي لحظة التأسيس بين زمن القصة وزمن الخطاب

(19) - نفسه، ص116.

(20) - هذه اللحظة تقع على الخط الطولي للقصة الخارجية وليس الخط الطولي للقصة الداخلية.

(21) يمكننا القول إنَّ الزمن النفسي هو زمن زئبقي متفلت، فإذا ما استعملنا المصطلحات الفنية التي استخدمها النقاد والباحثون في تحليله، فإنَّ ذلك قد يوقع القارئ في اللبس وعدم الوضوح، ولاسيما أن أغلب المصطلحات الزمنية الفنية غير مستقرة في الدلالة على المعنى المقصود. فهي عند باحث تعني شيئاً، وعند باحث آخر تعني شيئاً آخر، انظر: عبد القادر، شرشار، اضطراب المصطلح في الدراسات الأدبية والنقدية وعلاقته بالترجمة، مجلة الموقف الأدبي، ع377، أيلول، دمشق، 2002.

(22) سويرتي، محمد، النقد البنيوي والنص الروائي، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص53.

(23) جينيت جيرار، خطاب الحكاية، ت: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر الحلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، ط1977 ،2، ص42-35. جينيت، عودة إلى خطاب الحكاية، ت :محمد معتصم المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص46-38، مصطفى، ناجي، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، (ترجمة وتقديم)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1989، ص68.

(24) جينيت جيرار، عودة إلى خطاب الحكاية، ت: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،2000 .ص39.

(25) نفسه، ص25.

(26) انظر: البحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، القاهرة، (1997)، . ص206.

(27) على القارئ أن يفرق بين زمن التداعي وزمن محتويات التداعي، وزمن النص وزمن محتويات النص.

(28) استخدمنا مفردة (مجرى) ولم نستخدم (حدث من الأحداث)، لأنَّ التداعي قد يقع مصاحباً للحدث أو الفاصلة الزمنية أو الفضاء الروائي أو زمن أي من مكونات القصة الخارجية، ويمكننا أيضاً أن نعرف الصفر الزمني بأنه: "هو زمن تتصاحب فيه عملية التداعي الذهني مع مجرى من مجريات القصة الخارجية" أو "هو زمن مجريات القصة الخارجية الذي تتصاحب معه وبتأثير مكون من مكوناته عمليات تداعي ذهنية حرة، تتقطع وتتجدد بتغير المكون أو المؤثر". ويمكن أن نقول تتصاحب معها، بعودة الضمير على المجريات، فيتطلب ذلك تغير (مكوناته) إلى (مكوناتها).

(29) وتجدر الملاحظة أن زمني الاستباق والاسترجاع ليسا حكراً على الزمن النفسي –زمن محتويات التداعي -وإنما قد يقعان في الزمن التاريخي، فيتحول من زمن متسلسل –ماضي، حاضر، مستقبل- ،إلى زمن تاريخي منطقي، كما مر معنا عند الشكلانيين الروس، يخلص البناء من السرد الطولي الذي يفارق تقنية تيار الوعي ولا يوفر له المناخ المناسب.

(30) للإفادة انظر: الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، القاهرة، 1985، ص122، ليونز، جون، الزمن، عالم السرد والقص، ترجمة وتعليق: حلمي خليل، دار الفكر العربي، بيروت، 1985، ص63.

(31) انظر: عاقل، فاخر، علم النفس، دراسة التكيف البشري، دار العلم للملايين، ط8، بيروت. (1982)، ص677.

(32) انظر: همفري، روبرت، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ت: محمود الربيعي، ط2، دار المعارف، مصر(1975) .ص119.

(33) نفسه، ص115.

(34) انظر: الشوابكة، محمد علي، السرد المؤطر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف، البنية والدلالة، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان ص71.

(35) انظر:عاقل، فاخر، ص678.